

المنطق الحجاجي والحجاج المنطقي في هاشميات الكميت بن زيد الأودي

أ. العايش سعدوني
قسم اللغة العربية وإدائها
جامعة بـاننة 1
laichsad@hotmail.com

الملخص:

استعان (الكميت بن زيد) في سبيل الاحتجاج لآل البيت، بكل وسائل الإقناع وتحول الشعر عنده إلى جدال صرف، واحتجاج خالص، وصياغة للأدلة العقلية والنقلية، وأضحى الشعر في قصائد الهاشميات متصلًا بمنابع العقل بعد أن كان ارتباطه بالعاطفة أقوى وأوضح، إذ حمل في هاشمياته على أعداء آل البيت مبرزا حقهم في خلافة النبي - صلى الله عليه وسلم - فعدّ بحق مبدع فن الاحتجاج السياسي في الشعر.

الكلمات المفتاحية: قصائد الهاشميات - الكميت بن زيد الأودي - الاحتجاج - الحجاج والجدال.

Abstract:

(Al-Komit ibn Zayd) in order to protest the Al al-Bayt, by all means of persuasion and turning the poetry into a purely argumentative, pure protest and formulation of the mental and mental evidence; and the poetry in the poems of the Hashemites connected to the sources of reason after his attachment to emotion is stronger and clearer; His Hashemites on the enemies of Al-Bayt, highlighting their right to the succession of the Prophet - peace be upon him - Vadr right creator of the art of political protest in poetry.

Article terms: Poems of the Hashemites - Alkomit ibn Zaid Controversy in poetry – argumentation.

Résumé :

Dans le but de rendre droit a Al al Bayt. Alkamit ibn Zaid a employé tous les outils de conviction et a transformé son poème en un poème de polémique, de protestation et d'argumentation logique et rapportée. la poésie, dans son aspect hachémite, est devenue

dépendante de la raison après qu'elle dépendait fortement et évidemment de l'émotion et des sentiments ; une poésie qui s'était attaquée aux usurpateurs tout en mettant en évidence le droit ultime de (la famille du prophète) à la KHILAFAT (la gouvernance).

Mots-clés: Poèmes Alhashemiyat- Kumait ibn Zaid protestation - La controverse dans la poésie – argumentation.

تمهيد:

لقد ارتبطت العبادة عند الشيعة بحُب آل البيت، وتمكّن هذا الحُب من قلوبهم حتّى صار كأنّه ركن من أركان الإسلام، واعتقدوا أنّ ذلك مظهر من مظاهر حُبهم لله تعالى ولنبيّه -صلى الله عليه وسلم- وارتبط نشاطهم السياسي بنشاطهم الشعري، وأثارت هذه العقيدة جدلاً واحتجاجاً بين العلويين وخصومهم، نتج عنه شعور عارم بالسّخط على هؤلاء الغاصبين في نظرهم - من جهة، وحزن وإشفاق على هؤلاء المغضوبين والمشردين من جهة ثانية؛ فأطلقوا بذلك هم وشعراؤهم السنة ساخطة حزينة، أثمرت شعراً غلب عليه الحزن حتّى في أبواب الاحتجاج لآل البيت عند كلّ الشعراء الشيعة.⁽¹⁾

الكميث بن زيد الأسدي فائق علم الجدل والاحتجاج في الشعر:

إنّ الذي حمل لواء الدفاع عن آل البيت، واحتجّ لهم بكلّ ما أوتي من قوة حجة وبيان، فعُدّ بحق شاعر آل البيت هو: الكميث بن زيد الأسدي (ت126هـ)، فقد حمل في هاشمياته على أعداء آل البيت مبرزا حقهم في خلافة النبي (صلى الله عليه وسلم) فعُدّ مبدع فن الاحتجاج السياسي في الشعر، وقد قيل إنّه أوّل من دلّ الشيعة على طرق الاحتجاج.⁽²⁾

لم يكن أمام الشاعر وهو يرى عصبته من الهاشميين في أمس الحاجة لشعر ينطق بحالهم، ويؤيد مذهبهم، ويستميل القلوب ويحببها فيهم، ويغض أعداءهم، ويسقط دعواهم، ويعرّي نواياهم بالحقائق والبراهين؛ سوى اتباع هذا المنهج الجديد في الشعر، والنموذج الذي اختصّ به حيث الاحتجاج وصوره وأدواته المتعددة؛ ولا عجب فإنّ الانفتاح الثقافي والامتزاج الحضاري الذي عرفه عصر بني أمية فتح الباب أمام أهله وفنانيه للإفادة من الأمم الأخرى، وبما لديها من أساليب القول، وأشكال التعبير، وأنماط المساجلات ..

لقد سلك الكميّ أساليب الخطابة، وأفانين المناظرة، مستفيدا بما كان في زمانه من مذاهب المتكلمين والمعتزلة، متكئا في كل ذلك على العقل ومبدئه في الاستشهاد والبرهنة والاستقصاء، رائده في ذلك أسلوب القرآن الكريم.⁽³⁾ فاستطاع أن يبلغ بمنطق الاحتجاج مبلغا مؤثرا في الساحة السياسية، مستعينا في ذلك بكل وسائل الإقناع والأدلة العقلية والنقلية، والشواهد السمعية والبصرية، ولعلّ هذا ما جعل أساليبه الحجاجية تميل إلى أسلوب الخطابة حتى قيل: "إنه من الخطباء الشعراء"⁽⁴⁾ ولعلّ هذا مرده إلى الطريقة الجديدة التي اعتمدها في نظم هاشمياته، والتي لم يكن همّه فيها منحصرًا في فن التعبير، بل كاد أن يكون منحصرًا في فن الاحتجاج، وهكذا لم يعد الشعر عند الكميّ يعبر عن الشعور فحسب بل أصبح يعبر أيضا عن الفكر.⁽⁵⁾ ولنصغ إليه في إحدى هاشمياته وهو يقرّر حق الهاشميين في مهارة عقلية بديعة، مبتدئا بالحديث عن براعة بني أمية في اغتصاب الخلافة من أصحابها الشرعيين، وهم يقرؤون قول الله تعالى: ﴿ قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً⁽⁷⁾، وقوله سبحانه: ﴿وَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾⁽⁸⁾، يقول من (الطويل):⁽⁹⁾

بِخَاتَمِكُمْ غَضَبًا تَجُوزُ أُمُورُهُمْ فَلَمْ أَرَ غَضَبًا مِثْلَهُ يُتَغَصَّبُ
وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً تَأْوَلُّهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرِبٌ

وليت الأمر توقف عند الخليفة الأموي الأول بل تعداه إلى أولياء عهده، وفي براعة بديعة راح يعبر عنهم بصفات سهام الميسر (الفذ) مكذبا افتراءاتهم في وراثة خاتم ابن أمنة يقول من (الطويل) دائما:⁽¹⁰⁾

بِحَقِّكُمْ أُمْسَتْ قُرَيْشٌ تَقُودُنَا وَبِالْفَذِ مِنْهَا وَالرِّدْفَيْنِ نُرْكَبُ
وَقَالُوا وَرَثَتَاهَا أَبَانَا وَأُمَّنَا وَمَا وَرَثَتُهُمْ ذَاكَ أُمَّ وَلَا أَبُ

ومؤكدًا حق الهاشميين في الخلافة دون سواهم:

يَرُونَ لَهُمْ حَقًّا عَلَى النَّاسِ وَاجِبًا سِفَاهًا وَحَقُّ الْهَاشِمِيِّينَ أَوْجَبُ
وَلَكِنْ مَوَارِيثَ ابْنِ أَمْنَةَ الَّذِي بِهِ دَانَ شَرْقِيٌّ لَكُمْ وَمَغْرِبٌ
فِدَىٌّ لَكَ مَوْرُوثًا أَبِي وَأَبُو أَبِي وَنَفْسِي وَنَفْسِي بَعْدَ بِالنَّاسِ أَطِيبُ

ويقرع الكميث حجة بني أمية، الذين احتجوا بأن الأنبياء لا يورثون بقوله: لو كان الأمر كذلك لكانت الخلافة حقا عاما لجميع المسلمين، وليست قاصرة على قريش، فضلا عن بني أمية؛ بل كان للانصار الحظ الأكبر فيها فهم الذين آووا ونصروا نبي الأمة، حين أخرجه قومه، وربما طالبت بها بقية القبائل العربية من مثل: (بكيل، أرحب، عك، ولخم، والسكون، وحمير، كنده وبكر، وتغلب..)، وطلبت نصيبها منها يُحابر، وكان لعبد القيس، منها نصيب موفور.. يقول من (الطويل):⁽¹¹⁾

يَقُولُونَ لَمْ يُوْرَثْ وَلَوْلَا تَرَاثُهُ لَقَدْ شَرِكْتَ فِيهِ بِكَيْلٌ وَأَرْحَبُ
وَعَاكَ وَلَخْمٌ وَالسُّكُونُ وَحَمِيرٌ وَكِنْدَةُ وَالْحَيَّانُ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ

وَمَا كَانَتْ الْأَنْصَارُ فِيهَا أَدْلَةً وَلَا غُيْبًا عَنْهَا إِذِ النَّاسُ غُيِبُ
 هُمْ شَهِدُوا بَدْرًا وَخَيْبَرَ بَعْدَهَا وَيَوْمَ حُنَيْنٍ وَالِدِمَاءِ تَصَبَّبُ
 فَإِنْ هِيَ لَمْ تَصْلُحْ لِقَوْمٍ سِوَاهُمْ فَإِنَّ ذَوِي الْقُرْبَىٰ أَحَقُّ وَأَوْجَبُ

إنه يرى أنّ الخلافة، ميراث بني هاشم بدليل اختصاص قريش بها، ولذلك ينبغي نزعها من أيدي المغتصبين الظالمين من بني أمية، الذين أباحوا لأنفسهم تولى أمر المسلمين.

والملاحظ أن الشاعر في هذه الأبيات عبّر عن الأمويين بواسطة الضمير "هم" للدلالة على أن عداه لهم بسبب اغتصابهم للخلافة، فالقضية عنده ذات طرفين: طرفها الأول (بنو هاشم)، وطرفها الثاني الضمير(هم)، والذي يدخل فيه بنو أمية وغيرهم، ممن ناصب العدا لآل البيت.(12)

إن الكميت في هذه الأبيات، يستمد نظريته (في تقرير حق بني هاشم) من نظرية الأمويين أنفسهم، والذين يذهبون إلى أن الخلافة ينبغي أن تكون في قريش بحكم القرابة من الرسول- صلى الله عليه و سلم- وإن كانت القرابة هي الحجة-كما يذهب إليها بنو أمية- فبنو هاشم أولى من بني أمية، وبنو علي رضي الله عنه- أحق بني هاشم.

وهكذا يتحوّل الشعر عند الكميت إلى جدال صرف، واحتجاج خالص، وصياغة للأدلة العقلية والنقلية؛ وأضحى في هاشمياته متّصلاً بمنابع العقل بعد أن كان ارتباطه بالعاطفة أقوى وأوضح، ولا عجب فصلة الكميت بالمعتزلة عموماً و(واصل بن عطاء ت131هـ) واضحة مقررة.

لقد ربط الشاعر ربطاً محكماً بين السياسة والدين، بل جعل من السياسة تابعا للدين وهو يناظر في هاشمياته عن الشيعة؛ إنه يحول شعره إلى

نظرية يعيش من أجلها، يحاور ويجادل ويحتج لها، ويدفع حجج الخصوم عنها. (13)

والحقيقة أن العلاقة بين المذهب أو العقيدة، والجدل والحجاج أمر ضارب في القدم، فلطالما تعرض الشعراء والخطباء وأصحاب الآراء المعادية للسلطة والأنظمة الحاكمة، إلى الإيذاء، وهم يعرضون آراءهم محاولين إقناع الناس بسحر الكلام وسلطة الخطاب؛ ذلك أن الايدولوجيا أو المذهب السياسي، يعتبر محركا اجتماعيا يعمل على تعبئة الجماهير وحضهم على الحركة والثورة؛ إنها رؤية شاملة، أو شريعة لها القدرة على التغيير، خاصة إذا تحولت الأفكار التي تنتشرها إلى معتقدات يموت أصحابها في سبيلها، كما هو الشأن بالنسبة للشيعة وشاعرهم الكميث.

وهكذا تكرر الايدولوجيا الحجاج في اتجاه دورها القيادي، ويصبح الحجاج تقنية تعتمد الايدولوجيا: إذ يمثل الجانب الإقناعي في الخطابة، أو هو جوهرها - كما يعتقد الكثيرون - والخطابة إيديولوجيا، بحكم أنها رؤية للعالم قد تتحول إلى عقيدة متى تمّ اعتناقها. (14)

وإن الشعر من بعض أوجهه، ضرب من الايدولوجيا: ألم يصرح الكميث في هاشمياته إن طربه وشوقه وميله إلى بني هاشم دون سواهم، وفي سبيل العقيدة الشيعية يرضى ويغضب ويؤذى، بل ويموت حتى؟ يقول من (الطويل) دائما: (15)

طَرَبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ وَلَا لَعِبًا مِنِّي أَدُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنْزِلٍ وَلَمْ يَطْرِبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ

إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بَحُبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَنْقَرَبُ
بَنِي هَاشِمٍ رَهْطَ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَارًا وَأَغْضَبُ
وَأُرْمِي وَأُرْمَى بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا وَإِنِّي لَأُوذَى فِيهِمْ وَأُوْنُوبُ

إن شعر الكميت سياسي مذهبي، والكميت - كما أقر الكثير من الدارسين - أول من احتج في شعره على صحة المذهب الشيعي وأقام حجة، وقوى براهينه. (16)

وعلى الرغم من أن الكثير من الباحثين يربط بين الشعر والخطابة، كالجاحظ (توفي سنة 255هـ) في "البيان والتبيين" إذ أشار إلى تداخل الجنسين (الحجاج والخطابة) إذ يُقَرَّرُ إن الخطيب قد يكون شاعرا: "وفي الخطباء من يكون شاعرا ويكون إذا تحدث أو وصف أو احتج، بليغا مفوها بيّنا، وربما كان خطيبا فقط، بين اللسان فقط. ومن يجمع الشعر والخطابة قليل .. ومن الخطباء الشعراء (الكميت بن زيد الأسدي)، وكنيته أبو المستهل. (17) وإن الحجاج قد يحضر في الشعر حضوره في النثر، وإن الشاعر قد يضطلع بوظيفة المدافع عن فكرة، أو مذهب أو إيديولوجيا، تماما كالخطيب أو السياسي.

ولا ينسى الكميت أن يلفت الأنظار في مناظراته إلى الجانب الإنساني للهاشميين، بعد أن أصبح كمالهم الديني أمرا مفروغا منه: أليسوا آل النبي، وهم أهل التقوى والورع، إنهم كمطر السماء الذي ينقذ من أشرف على الهلاك، وقد أصابهم الجذب يقول من (الخفيف): (18)

وَالْغَيْوْثِ الَّذِينَ إِنْ أَمَحَلَ النَّاسُ سُمْ فَأَوْى حَوَاضِنِ الْإِيْتَامِ
مُسْتَعْفِينَ مَفْضِلِينَ مَسَامِيحَ مَرَاجِيحَ فِي الْخَمِيسِ اللَّهُامِ

وهم أهل العلم والعدل والحلم والرحمة والشجاعة:

غَالِبِينَ هَاشِمِيِّينَ فِي الْعِلْمِ رَبُّوا مِنْ عَطِيَّةِ الْعَلَامِ (19)
 أُسْدُ حَرْبٍ غُيُوثٌ جَذَبَ بِهَا لَيْلٌ مَقَاوِيلُ غَيْرَ مَا أَفْ—دَامَ (20)
 خلافا لبني أمية الذين بلغ جورهم حدَّ اعتبار الرعية غنم لهم يجرؤون صوفها،
 ويشربون ألبانها، ويأكلون لحومها، ولا يرحموا حتى صغارها يقول: (21)
 لَا كَعْبَدِ الْمَلِكِ أَوْ كَوَلِيِّ— أَوْ كَسُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهَشَامِ
 رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الثُّلَّةِ فِي النَّائِجَاتِ جُنْحَ الظَّلَامِ (22)
 جَزَّ ذِي الصُّوفِ وَانْتَقَاءً لِذِي الْمُخَّةِ وَانْعَقَ وَدَعَدَعَا بِالْبِهَامِ (23)
 وَهُمْ الْأَرَأْفُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأِّ فَةِ وَالْأَحْلَمُونَ فِي الْأَحْلَامِ
 أَخَذُوا الْقَصْدَ فَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ حِينَ مَالَتْ زَوَامِلُ الْآثَامِ (24)

والكميث في هاشمياته يدافع عن نظرية لا عن شخص بعينه، وفرق بين مديح الأشخاص والدعوة لنظرية، وهذا دليل على أن الرجل لم يكن من طالبي الدنيا، فقد كان يرفض أن يأخذ من بني هاشم ما لا لقاء مدحهم، فقد روى الرواة إن (جعفرا الصادق) أعطاه يوما بعد إنشاده لاميته المشهورة، ألف دينار وكسوة، فقال له الكميث: "والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هي في يديه، ولكني أحببتكم للأخرة؛ فأما الثياب التي أصابت أجسادكم فإني أقبلها لبركتها، وأما المال فلا أقبله" (25). ولعل من أطرف ما يُروى عنه، في صدد مديحه لبني أمية أنه كان إذا سئل عنه قال: "إني لا أحفظ منه شيئا، وإنما هو كلام ارتجله" (26)، ولذلك فشعره في بني أمية كان شعرا عارضا في حياته - كما يرى (شوقي ضيف) - ولا يصور شيئا في عاطفته ولا في ذهنه، أما شعره في الهاشميين فهو الشعر الذي عاش ينميّه، لأنه كان يعبر عن عاطفة وفكر. (27)

ومرجع الشاعر في احتجاجة لآل البيت القرآن الكريم، وأسلوبه في الخطاب الإقناعي: حيث إنَّ الله عزَّ وجلَّ يخاطب الأقسام خطابا عاما، ثم

يأتي إلى تفصيل جزئياته، والمنهج نفسه عمد إليه الكميت، ففي تصويره للظلم الواقع على الرعية من الأمويين راح يسوق الشواهد ويضرب الأمثال: فتارة يشبه أفعالهم بأفعال أهل البدع، الذين يبتدعون في الناس ما لم ينزل الله به سلطانا لأكل أموالهم بغير وجه حق، وسلب الخيرات يقول من (الطويل): (28)

وَمَا ضَرَبَ الْأَمْثَالَ فِي الْجَوْرِ قَبْلَنَا لَأَجُورَ مِنْ حُكَامِنَا الْمُتَمَثِّلِ
هُمْ خَوْفُونَا بِالْعَمَى هُوَةَ الرَّدَى كَمَا شَبَّ نَارُ الْحَالِفِينَ الْمُهَوِّلِ
لَهُمْ كُلِّ عَامٍ بَدْعَةٌ يُحَدِّثُونَهَا أَزَلُّوا بِهَا أَتْبَاعَهُمْ ثُمَّ أَوْحَلُوا

وأخرى بالرهبان الذين يبتدعون ما لم يأت به كتاب ولا وحي، في تحليل الحرام وتحريم الحلال، يقول من الهاشمية نفسها: (29)

كَمَا ابْتَدَعَ الرَّهْبَانُ مَا لَمْ يَجِئْ بِهِ كِتَابٌ وَلَا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلُ
تَحَلُّ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ لَدَيْهِمْ وَيَحْرُمُ طَلْعُ النَّخْلَةِ الْمُتَهَدِّلِ

وهذا الأسلوب الذي اعتمده الكميت في هاشمياته، أقرب إلى تصوير الحقائق وأصق في توجيه المعنى، ولا عجب فالعقل هو عماد الاحتجاج عند الرجل.

ولم يتوقف الشاعر عند ظاهر المسائل التي يُحتجّ بها، بل سلك طرق المتكلمين الذين كان يحضر مجالسهم ويستمع إلى مناظراتهم، فقد كان إمامه (زيد)، يتلمذ (لواصل بن عطاء رأس المعتزلة)، وتبعه في ذلك الشاعر، الذي تعلّم منه الكلام والجدل في مسائل العقيدة، ثم راح يستخدمه في أشعاره، فإذا هي دفاع عن الزيدية بكل أصولها. (30)

ولو دققنا النظر في هاشمياته، ومن خلال الأبيات السالفة الذكر، لوجدناها تدور حول: فكرة المساواة بين المسلمين، وفكرة توزيع الثروة؛ فهو

حين يهجو بني أمية، إنما يهجوهم لبعدهم عن هدي القرآن والسنة، وضلالة بدعهم التي أحدثوها، كما ابتدع الرهبان ما لم ينزل به سلطانا؛ فيقيم مقارنة فعلية، ويأتي بالأدلة المنطقية، علة الفارق بين الهاشميين والأمويين، مستخدما في ذلك الاستنباط القياسي المؤلف عادة من قضيتين أو أكثر، تلزم عنهما قضية أخرى بالضرورة :

- القضية الأولى: مدح آل البيت، بصفات توجد فيهم.
- القضية الثانية: هجو الأمويين لتعطيل الأحكام الدينية.
- القضية الثالثة: أحقية آل البيت في الخلافة دون غيرهم.(31)

ولما كان الحجاج آلية حوارية تداولية، تنظيمية، تدير الخلاف في إطار تناوب حوارى تعاوني، تخضع فيه الحجج للنشاط الكلي للفعل اللغوي، وهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي؛ وإن من شروط التداول اللغوي الإقناع، والإقناع مجال البحث الخارجي: فالمرسل حين يطالب غيره مشاركته اعتقاداته، فإنه يسلك في سبيل ذلك سبلا استدلالية متنوعة تجرّ الغير إلى الاقتناع برأي المحاور، ولكي يكون أكثر قدرة على التأثير قد يمزج المحاور أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع كالخطابة... ولعل من آثار روح الخطابة على الشعر السياسي وما يتصل به من أغراض، كالمدح والهجاء والفخر، ما نلاحظه من اقتران الألفاظ في كثير من المواضيع بصفات تحدّد دلالتها أحيانا أو تؤكد إحياءاتها أحيانا أخرى، وكأن "الخطيب" لا يريد أن يدع مجالا لأي لبس في نفس السامع.(32) من ذلك قوله من (الخفيف): (33)

مَنْ لَقَلْبٍ مُتَيِّمٍ مُسْتَهَّـمٍ غَيْرَ مَا صَبَوَةٌ وَلَا أَحْـلَامٍ
طَارِقَاتٍ وَلَا ادِّكَارٍ غَوَانٍ وَاضِحَاتِ الْخُـدُودِ كَالْأَرَامِ

بَلْ هَوَايَ الَّذِي أُجِنُّ وَأُبْدِي لَبْنِي هَاشِمٍ فُرُوعِ الْآنَسَامِ
 وَالرَّوَايَا الَّتِي بِهَا يَحْمَلُ النَّاسُ سُسُوقَ الْمُطَبَّعَاتِ الْعِظَامِ
 وَالْبُحُورُ الَّتِي بِهَا تَكْشِفُ الْحَرَّةَ وَالذَّاءَ مِنْ غَلِيْلِ الْأَوَّامِ (34)
 أَبْطَحِييْنَ أُرِيحِييْنَ كَالْأَنْجُمِ ذَاتِ الرَّجُومِ وَالْأَعْلَامِ
 أَسْرَةَ الصَّادِقِ الْحَدِيثِ أَبِي الْقَاسِمِ فَرَعِ الْقَدَامِسِ الْقُدَّامِ (35)

فالملاحظ استعانة الشاعر ببعض الصفات ذات التركيب الخاص، كالاسم الموصول وصلته، في إقامة ذلك الإيقاع الهندسي للبيت - كما يقول عبد القادر القط - في مثل قوله: "الذي أُجِنُّ وأبدي"، "التي بها يُحْمَلُ الناس"، "التي بها تَكْشِفُ الحرّة". أو بتعدد الصفات بين مفردة، وجمل وصفية كما في قوله من (الطويل): (36)

نُعَالِجُ مُرْمَقًا مِنَ الْعَيْشِ فَانِيًّا لَهُ حَارِكٌ لَا يَحْمَلُ الْعِبَاءَ أَجْزَلُ

فقد بدأ بوصف "مرمقا" بقوله: "فانيا"، ثم عاد فوصفه بجمله خبرية "له حارك"، ثم وصف الحارك نفسه مرةً بجمله "لا يحمل العبء"، ومرةً بصفة مفردة في قوله: "أجزل"؛ وقد تبدو الصفات أحيانا مجرد تكملة للبيت وسبيل إلى القافية كما في قوله من (الخفيف): (37)

هَجْرَةٌ حُوِّلَتْ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرِ رَجَّ أَهْلَ الْفَسِيلِ وَالْآطَامِ

فليس في الصورة الشعرية ما يوجب وصف الأوس والخزرج بأنهم أهل الفسيل والآطام، وليس فيها مقارنة بين طبيعة الحياة في مكة والمدينة تستدعي التنويه بهذه الصفة، بل تبدو بعض هذه الصفات تأكيدا للصورة فقط. ولعلها ضرب من الإسهاب تقتضيه طبيعة النزعة الخطابية في الشعر. (38)

ومن مظاهر النزعة الخطابية (الإقناعية) عند الكميّ ما يمكن أن نسميه: التقسيم الذي أصبح فيما بعد من السمات الفنية المعروفة للشعر العربي؛ فقد برع الشاعر في حشد أكبر قدر من الجزئيات في الصورة

الشعرية داخل إطار البيت الواحد، من ذلك قوله مشيراً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من (الخفيف): (39)

كَانَ مَيْتًا جَنَازَةً خَيْرٌ مَيِّتٍ غَيَّبْتُهُ حَفَائِرُ الْأَقْفَامِ
وَجَنِينًا وَمُرْضِعًا سَاكِنَ الْمَهْدِ وَبَعْدَ الرِّضَاعِ عِنْدَ الْفِطَامِ
خَيْرٌ مُسْتَرْضِعٍ وَخَيْرٌ فَطِيمٍ وَجَنِينَ أُرْفَرَّ فِي الْأَرْحَامِ
وَعَلَامًا وَنَاشِئًا ثُمَّ كَهْمَلًا خَيْرٌ كَهْلٍ وَنَاشِئٍ وَغُلَامِ

ولعل اعتماد الكميث على شحن البيت الشعري بالتزويق اللفظي المتواصل، والبراعة في ذلك، كان بهدف إظهار القدرة على صوغ الجمل التي تؤكد المعنى، قصد نقل السامع من موطن الخبر إلى موطن المعاينة؛ فالمقام يدعو إلى البرهنة والاستشهاد، ولذلك وجدنا الشاعر يتبع بعض أساليب الخطابة بحذق: كالتكرار والوصف والقلب والاستفهام، الدعاء والإنكار، أسلوب الحكاية والاستشهاد.. للاستعانة بما تمنحه من صور الاحتجاج فإنه: "من شأنها أن يُعتمد فيها الأوزان والأسجاع، فإنها تُروى وتُتأقل، وتتأقل الأشعار، ومحلها محل النسيب والتشبيب من الشعر، الذي كأنه لا يراد منه إلا الاحتفال في الصنعة، والدلالة على مقدار شوط الفريضة، والإخبار عن فضل القوة، والافتقار على التفنن في الصفة". (40)

على أن أقرب أنواع الاستدلال إلى الشعر، وأصقها به الاستدلال بواسطة التمثيل: فهو احتجاج لأمر معين عن طريق علاقة الشبه التي تربطه بأمر آخر، وهو ما سماه بعض الفلاسفة والبلاغيين: (القياس الشعري)، يقول عبد القاهر الجرجاني: "والتشبيه قياس والقياس فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتُسْتَفْتَى فيه الأفهام والأذهان، لا الأسماع والأذان". (41)

واللافت في القياس الشعري، أي في التشبيه والاستعارة أنه يجمع بين الإقناع والجمال: إنه يقنع بالفكرة أو الرأي من جهة، ويمتع ويغرب من جهة

الصورة، التي تزين القول وتوشيه؛ ففي الأبيات السالفة الذكر من الهاشمية الأولى والتي يمدح فيها الهاشميين ويصفهم بالأسد تارة والغيث تارة أخرى، ثم يصف حكام بني أمية بالمستغلين الذين يستغلون الرعية كما تُستغل الأنعام، تتوالي مجموعة من الصور، أو بالأحرى التشبيهات، هي من حيث الحجاج قياسات تتكون من مقدمات ونتائج :

● المقدمات :

- الهاشميون يتصفون بـ : الشجاعة ، الكرم ، الرحمة الرأفة ،
الحلم ..
- بينما يتصف حكام بني أمية بالاستغلال الفاحش للرعية ..

● النتيجة المنطقية المراد الوصول إليها :

- إن الهاشميين هم أحق الناس بالخلافة

وهذا ما صرح به في الهاشمية الثانية إذ يقول من الطويل:(42)

يَرُونَ لَهُمْ فَضْلاً عَلَى النَّاسِ وَاجِبًا سِفَاهًا وَحَقُّ الْهَاشِمِيِّينَ أَوْجَبُ
وباعتماد مفهوم السلم الحجاجي لـ: (ديكرو)، سنصل إلى النتيجة السالفة الذكر، والتي طالما ردها الشاعر والشيعة، ألا وهي أحقية بني هاشم بالخلافة، ولذلك وجدناهم لا يتعبون من البرهنة والاستدلال على ذلك يقول من (الطويل):(43)

فَمَا لِي إِلاَّ آلَ أَحْمَدَ شِيعَةً	وَمَا لِي إِلاَّ مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبُ
وَمَنْ غَيْرَهُمْ أَرْضَى لِنَفْسِي شِيعَةً	وَمَنْ بَعْدَهُمْ لَأَمِّنَ أَجَلٌ وَأَرْجَبُ
إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعْتُ	نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي ظِمَاءٌ وَالْأَبُّبُ
وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ آيَةً	تَأَوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعْرَبُ
وَفِي غَيْرِهَا آيَا وَأَيًّا تَتَابَعْتُ	لَكُمْ نَصَبٌ فِيهَا لِذِي الشَّكِّ مُنْصَبُ

فالقول بأحقية بني هاشم في الخلافة دون غيرهم، تدعمه مجموعة من

الحجج و البراهين كما سنوضحه:

الحجج	النتيجة
- هم آل النبي (صلى الله عليه وسلم) - مسلّم هو طريق الحق - أقر لهم آي القرآن بذلك	- أحقية بني هاشم في الخلافة

وعلى هذا سار الكميث في هاشمياته محتجا لآل البيت، مستدلا على

حقهم في الخلافة.

ومن طرق الإقناع التي عمد إليها الشاعر، في الجانب المتعلق ببناء

القصيدة، استتارة فضول السامع: فيذكر بعض ما يثور في نفسه من طرب

وشجو، مؤجلا التصريح بما أثار طربه وشجوه إلى حين، مبرزاً ثورته على

ما ألفه الشعراء من وقوف عند أثار الأحبة، حتى إذا أثار فضول السامع

بحديثه عن طربه وشجوه، انتهى إلى ذكر علة ذلك، وموطن هواه، مشيراً

إلى آل البيت بصفات من الفضائل المطلقة دون أن يصرح بذكرهم، ثم

ينتهي أخيراً إلى التصريح.⁽⁴⁴⁾ ولعل خير ما يمثل هذا الأمر مطلع الهاشمية

الثانية يقول من (الطويل):⁽⁴⁵⁾

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَ ذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
 وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزَلٍ وَلَمْ يَنْطَرِبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ
 إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحُبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَنْقَرَبُ
 بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَغْضَبُ

وهذا النهج يطرد على اختلاف في الطول والقصر في أغلب

هاشمياتة؛ والشاعر لا يكتفي في تأكيد عواطفه السياسية بالتكرار اللفظي-

كضرب من ضروب الاستدلال- بل يستخدم إلى جانب ذلك ضرباً آخر من التكرار المؤكد الذي يعتمد على استخدام ألفاظ تدل على معانٍ متقاربة في إحائها العام، وتشارك في إيقاع واحد، إذ تجيء على صيغة مشتركة من صيغ المشتقات، وكأني بالشاعر يحاول أن يطبع عاطفته ويحفرها في وجدان القارئ أو السامع. (46)

ولا يعيننا الجانب الفني من هذه الظاهرة في هذا الموضع -والتي تعد تطوراً فنياً ملموساً في شعر الكميت عرف فيما بعد باسم البديع- بقدر ما يعيننا إبراز ظاهرة التكرار كضرب من ضروب الاستدلال يقول من الخفيف: (47)

والحمأة الكفأة في الحربِ إنْ لَفَّ ضِرَامٌ وَقُوذُهَا بَضِرَامٌ
والولاةُ الكفأةُ للأمرِ إنْ طَرَّ قَ يَتَنَّا بِمُجْهَضٍ أَوْ تَمَامٍ (48)
والأساةُ الشفأةُ للداءِ ذي الرِيْبَةِ والمُدْرِكِينَ بِالْأَوْغَامِ (49)

ختاماً يمكن القول: إن هاشميات الكميت تؤرخ لنزعة عقلية جديدة في اللغة العربية لم تكن معروفة قبل الشاعر، إذ لم يُعرف قبله أن خصص شاعر لمذهب أو نظرية معينة مجموعة من القصائد، وُسِّمَت بمذهبه وغايته؛ فقد كان الشاعر حين يؤمن بعقيدة أو مذهب يكتب فيه البيت أو البيتين، وقد يكتب قصيدة يخصُّ بها شخصاً من الأشخاص الذين يعبرون عن عقيدته أو فكرته. في حين كتبت قصائد الكميت لتخدم نظرية معينة، وتحتج لمذهب معين.

الهوامش:

- 1- أحمد الشايب ، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ط 5 ، 1976 ، ص 233 .
- 2- شوقي ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، دار المعارف بمصر ، ط5 ، ص276 .
- 3- قصار مسلم القطاوي ، هاشميات الكميث دراسة نقدية ، دار المأمون ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 ، ص87 .
- 4- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تح: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 1 ، ص 45 .
- 5- شوقي ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص276 .
- 6- الشورى ، الآية 26 .
- 7- الأحزاب ، الآية 33 .
- 8- الإسراء ، الآية 26 .
- 9- الكميث بن زيد الأسدي ، ديوان الكميث ، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريقي ، دار صادر ، بيروت ، 2010 ، ص 521 .
- 10- الكميث ، ديوان الكميث ، الهاشمية الثانية ، ص 522 .
- 11- الكميث ، ديوان الكميث ، الهاشمية الثانية ، ص 526 .
- 12- سمير مصطفى فراج ، شعراء قتلهم شعرهم ، مكتبة مدبولي الصغير ، ط1 ، 1997 ، ص54 .
- 13- شوقي ضيف ، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ص280 .
- 14- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، ط1 ، 2008 ، ص43 .
- 15- الكميث ، ديوان الكميث ، الهاشمية الثانية ، ص 512 .
- 16- أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، قدم له وعلق عليه: أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبة التوفيقية ، ج 3 ، ص307 .

- 17- الجاحظ ، البيان والتبيين، ص 45 .
- 18- الكميت، ديوان الكميت، الهاشمية الأولى، ص 488 .
- 19- غالبيين: يعني أولاد غالب بن فهر بن مالك .
- 20- بهاليل: ج بهلول : الضحوك - أقدام : ج فدم : التقييل ، الغبي .
- 21- الكميت، ديوان الكميت، الهاشمية الأولى، ص 488.
- 22- الثائجات : الظأن.
- 23- يقال انقُ العظم أي: خُذْ نَقِيَّه - وأنعقُ أي صح بها- ودعدعا :ازجر بها ، والدعدعة: زجر البهائم .
- 24- الزوامل : التي يحمل عليها من الإبل .
- 25- الأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 5، ج 16، 1981، ص 347 .
- 26 - نفسه، ص 333 .
- 27- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص 285 .
- 28- الكميت، ديوان الكميت، الهاشمية الرابعة، ص 598.
- 29- الكميت، ديوان الكميت، الهاشمية الرابعة، ص 598.
- 30- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ص 327 .
- 31- أميدا يزانلوا، قراءة جديدة في هاشميات الكميت، مجلة المنهاج، العدد 69، 2013.
- 32- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 293 .
- 33- الكميت، ديوان الكميت، الهاشمية الأولى، ص 487.
- 34- الحجره : العطش — غليل الآوام : شدة العطش .
- 35- القدامس : السيد الشريف — القدام : المتقدم .
- 36- الكميت، ديوان الكميت، الهاشمية الرابعة، ص 589.
- 37- الكميت، ديوان الكميت، الهاشمية الأولى، ص 501.
- 38- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص 295.

- 39- الكميث، ديوان الكميث، الهاشمية الأولى، ص 500.
- 40- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر، ط 3، مطبعة المدني، القاهرة، 1992، ص9.
- 41- نفسه، ص 15 .
- 42- الكميث، ديوان الكميث، الهاشمية الثانية، ص 524.
- 43- الكميث، ديوان الكميث، الهاشمية الثانية، ص 517.
- 44- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص279 .
- 45- الكميث، ديوان الكميث، الهاشمية الثانية، ص 512.
- 46- عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، ص287.
- 47- الكميث، ديوان الكميث، الهاشمية الأولى، ص 487.
- 48- اليتن: الولادة المنكوسة، العسرة .
- 49- الأوغام : ج ، وغم أي : الوتر والحقد.